« برنارد لويس » : أين الخطأ ؟ التأثير الغربى واستجابة المسلمين

ترجمة محمد عنانى ، الناشر سطور ، القاهرة ٢٠٠٣ (٢٦٩ صفحة)

صـــدرت الطبعة الإنجليزية من هذا الكتاب فى خريف ٢٠٠١ ، عشية حادث ١١ ســبتمبر الــذى مــثل ساعة الصفر لانطلاق « المحافظون الجدد » لتنفيذ مشروعهم الإمــبراطورى التوسعى تحت مسمى « الحرب على الإرهاب » . لذلك تلقفت أيدى القــراء فى الغرب الكتاب عند صدوره ، فى ظروف كان الجميع فيها يسعون إلى فهم موقف الإسلام والمسلمين من الغرب .

وصــاحب الكــتاب هو المستشرق البريطانى الأشهر "برنارد لويس" الذى أوقف حياته منذ نهاية الحرب العالمية الثانية على تقديم صورة سلبية للإسلام، هدفها : استثارة القارئ الغربى ضد الإسلام وأهله . والكتاب الجديد يردد مقولات المؤلف السابقة التى نشرها فى كتب عديدة منها : « الإســلام والغرب » و « الإســلام فى التاريخ » ، و «اكتشاف المسلمين لأوروبا» و «اللغة السياسية للإسلام» ، و «ثقافات متصادمة» وكلها ظاهرها علمى وباطنها سياسى ، كتبت لخدمة الصهيونية ، وحشد تأييد الرأى العام الغربى لها .

والكتاب يقع فى سبعة فصول ، عالج أولها ما أسماه المؤلف: «دروس ساحة القتال» وفــيه يركز على العداء القديم بين العثمانيين وأوروبا الذى بلغ ذروته بهزيمة العثمانيين أمــام أســوار فينا عام ١٦٨٣ ، وكيف ولدت هذه الهزيمة روح الثأر عند المسلمين، وجعلــتهم يكــنون الكراهية للغرب ويتحينون الفرص للانقضاض عليه . وفى الفصل الثانى يتحدث عن مرحلة الاستعمار الغربى الذى كان يستهدف جنى الثروات والتزود بأســباب القوة ، وكانت بلاد المسلمين مسرحًا لــه ، مما زاد من إحساس المسلمين بالكراهية نحو الغرب ، وتحميله مسئولية ما أصابهم من تخلف وضعف ، وفى الفصلين : الرابع والخامس تناول محاولات التحديث ، وبناء الدولة الحديثة فى بلاد الإسلام ، وإن

انصـــرف اهتمامه على العالم العربى ، وفى الفصل الأخير : تناول مظاهر التغير الثقافى من وجهة نظره .

وفى خاتمـــة الكـــتاب : يلقى "برنارد لويس" بكل ما فى سلته من مقولات تقود القـــارئ الغربى إلى نتيجة واحدة : فالمسلمون قوم أوغاد بطبعهم يكرهون الآخر الذى يخـــتلف معهـــم فى الديـــن ، ويريدون تدمير الغرب ، وذبح اليهود انتقامًا لعجزهم وتخلفهم . ويتجلى عداؤهم للسامية فى رفضهم القبول بالكيان الصهيونى ، ومشكلتهم الأساســـية هى ثقافتهم التى تجعلهم لا يندمجون مع الآخر . فإذا أراد المسلمون صلاحًا لأمرهم فعليهم تبنى الثقافة العصرية (الغربية) ، وإلا أصبحوا عرضة للسيطرة الأجنبية ، علـــيهم أن يكفـــوا عن الشكوى ، وإلا سيكون مصيرهم مصير « من يفجر نفسه والآخرين بقنبلة » !

وترجمة الكتاب إلى العربية تساهم – دون شك – فى توعية القارئ العربى بأصول أيديولوجـــية الهيمنة الغربية الحديثة ، ويستحث الهمم على مواجهتها بتصحيح صورة المسلمين عند الرأى العام الغربى .

د . ع